

تراث

معرض بيروت يضم مخطوطات ونسخاً قديمة من «المصحف الشريف»

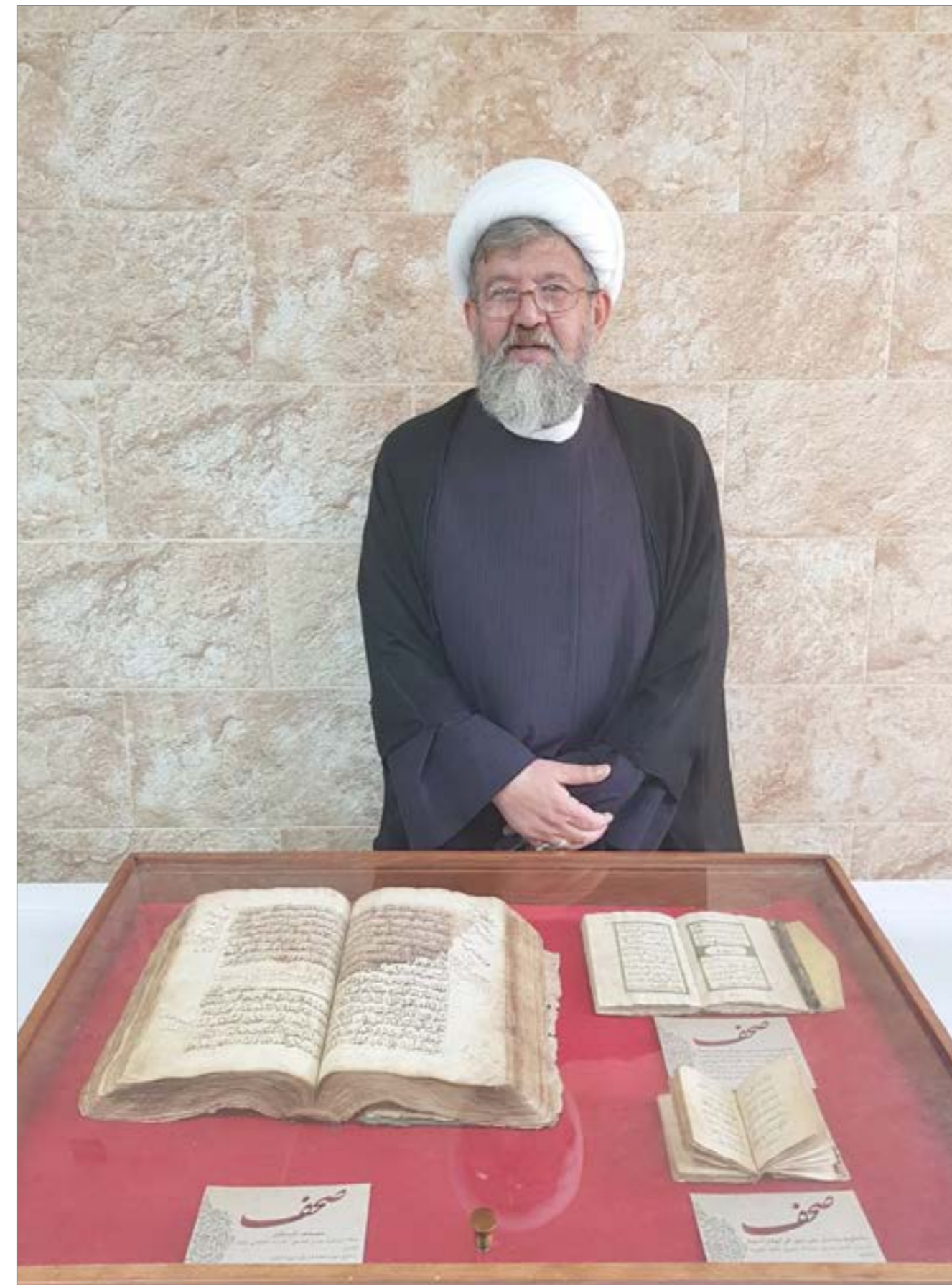
الشيخ علي خازم: القرآن كتاب العرب الأوّل

قبل أسابيع، احتضنت قصر الأونيسكو في بيروت معرض «صُحف» الذي حوى نسخاً ومخطوطات قرآنية قديمة. مبادرة جاءت من الشيخ علي خازم المنشغل بالحفاظ على هذا الإرث الثقافي البصري

فراس خليفة

يُشعل «الشيخ علي» لُغافة تنبغ أثناء محادثة هاتفة مطوّلة يشير في جزء منها إلى «الطُرق المائلية» للحفاظ على المخطوطات القرآنية. على الطاولة أمامه بعض الأوراق والوثائق و«مصحف» من الحجم الوسط تعود طباعته إلى زمن بعيد كما يظهر من «قماشة» جلدته. وإلى يساره مكتبة صغيرة تتوسطها صورة لوفد «عثماني» التقطت أثناء زيارة إلى أحد المعالم «السياحية» في الجنوب اللبناني. يبرّغ الرجل في «فن» التواصل مع الناس. يشهد له بذلك كثيرون من حوله وهو صاحب الباع الطويل في مذ الجسور على مستوى الشاحة الإسلامية، ويتولّى موقعاً قيادياً في «تجمع العلماء المسلمين» منذ تأسيسه في عام 1982. على إحدى «الصفحات» المتخصصة في المخطوطات القرآنية، يكتب مراسلاً أحد القُتبين عليها: «من فضلك احجز لي نسخة منه». يُشعل الرجل لُغافة أخرى. يأخذ نفساً عميقاً قبل أن يجيب على سؤال حول معرض «صُحف» القرآني الذي نظمته قبل أسابيع في قصر الأونيسكو في بيروت: «الحمد لله نجحنا». يريد الشيخ علي خازم (1956) أن يعيد الاعتبار إلى «المصحف الشريف» كتاب وركي. يقول: «كلمة مصحف معناها الكتاب المجموع بين دفتين، وهو الكتاب الأول عند العرب، إذ ليس في آثارهم ما يدل على أنهم انتجوا كتاباً مجموعاً بين دفتين قبل القرآن». يرى بان الناس مثلاً لا تهتم بتفاصيل متعلقة بنوع الخط واسم الخطاط والرموز الموجودة في المصحف وعلامات الضبط وغيرها، مشيراً إلى أن كثيراً منهم يجهلون أن المصحف المطبوع هو في أصله مخطوط. «لا تُطبع المصحف إلا أن يُكتب الخطاط مصحفاً على أوراق بحجم كبير تُصوّر ومن ثم تُطبع هذا هو الأصل في طباعة المصحف، ولكن هناك ثلاث نسخ في العالم الإسلامي تفرّدت بكون حروفها كومبيوترية مستمدة من الحرف

«مصحف فلسطين» بخط إبراهيم صالح الحديثي من أقدم النسخ في المصاحف الموجودة لديه



الشيخ علي خازم



مخطوط فلسطين

مترجمة إلى اللغة التاميلية الهندية. ويُعدّ «مصحف فلسطين» بخط إبراهيم صالح الحديثي (سحامة) من أقدم النسخ الخطية المؤرخة في المصاحف التامة الموجودة لديه (تاريخ الكتابة 1754 ميلادي- 1167 هجري). لكن الرجل يوضح أنّ الشغف لا يعني «هوساً» بالضرورة، ذلك أن نسخاً نادرة من المصحف عرضت عليه لكنه لم يبتاعها لأن أسعارها تفوق قدرته الشرائية. «الهدف هو التنوع وليس السعي لحيازة أكبر كمية من المخطوطات». بعد نجاحه في شهادة ال «سرتيفيكات» في عام 1967، تلقى الشيخ علي هديةً عزيزة على قلبه وهي عبارة عن «دواة» متوارثة عن جدّ أبيه. منذ ذلك الحين، بدأت حكايته مع «الأدوات» والوثائق. يحتفظ في مكتبته الخاصة بوثائق ترجع إلى زمن الدولة العثمانية. يقول خازم: «أخيراً، حصلت على سند عقاري للمنطقة التي تملك فيها ال خازم في برج البراجنة أول قدومهم من الجنوب (النصارية وعدلون). هناك وثيقة للمكية أحد العقارات (أواخر القرن التاسع عشر) تعود إلى أحمد خازم وهو شقيق والدته الشهيد عبد الكريم الخليل. في مكتبة الشيخ وثيقة عن «الإعفاء من الجندية» في تلك المرحلة، وفاتورة تظهر كمية الشرائق (دود الحرير) التي سلّمها جدّه إلى أحد معامِل الحرير في برج البراجنة في ذلك الحين. يحتفظ الشيخ بتطور الدافع فصرت أبحاث عنها وانتبعتها في أشكال خاص ومن الجديّن لا سيما جدي فهو لا يزال يحتفظ مثلاً بأوراق المسؤدة لامتحانات شهادة البريفيه وما دونياته خلال ادائه الخدمة العسكرية في الجيش، ويحتفظ أيضاً بالملعة التي شرب فيها ماء وسكراً أول مرة على يد أمّه، والعلبة التي ورّع فيها والده الحلوى عندما علم بولادته وتلك التي ورّعت فيها والدته «المليّس» عند خطوبته وغيرها الكثير.



مخطوط مجمع البيان

مخطوطة «برمنغهام» وإشكالية الترجمة

يجزم الشيخ علي خازم بأنّ القرآن المنتشر اليوم بين المسلمين هو ذاته القرآن الذي جُمع على أيام عثمان بن عفان. «لم يلحقه أيّ تزوير. إلا أن تتعمّد جهة ما عملية التزوير وهذا ما يمكن ضبطه». وإذ بلغت إلى أنّ مصطلح «تاريخ القرآن» لم يظهر إلا قبل مئة سنة تقريباً. يشير إلى مجموعة مخطوطات قديمة للمصحف أبرزها مخطوطة «برمنغهام» ومخطوطة جامعة «توبنجن» الألمانية اللتين لقي عليهما الضوء أخيراً، ومخطوطة مسجد صنعاء الكبير. وقد توصل الباحثون والمحققون إلى أن المادة المكتوبة في هذه المخطوطات، تعود إلى فترة زمنية لا تتجاوز الثلاثة عقود من وفاة النبي محمد، أي في الفترة ذاتها التي جُمع فيها مصحف عثمان. يقول في السياق ذاته: «أنا شخصياً قمّت بالتحقيق بمخطوطة برمنغهام المكتوبة بالخط الحجازي الأول وأجريت مقارنة مع الخط النسخي الراجح في أي مصحف حديث، فوجدت تطابقاً تاماً في المحتوى». يضيف خازم: «حتى في نسخة مصحف طشقند، وهي من النسخ الست الأقدم في العالم، تظهر فيها آية إنّنا نحن نزلنا الذكر وإنّا له لحافظون» التي يُستدلّ فيها إيمانياً على حفظ القرآن من التزوير. وهي بذلك تشكل أيضاً أثراً مادياً كان موجوداً في المرحلة الأولى من كتابة المصحف. ولكنّ الآ تؤثر ترجمة القرآن إلى أكثر من 70 لغة عالمية في تغيير المعنى والمضمون الحقيقي للآيات؟ هذه إشكالية طبعاً» يقول الشيخ. قبل أن يضيف: «الترجمة، وهي من مسائل علوم القرآن، تتكّن من نقل معنى الآية فقط. مشكلة نقل النصوص الأدبية وترجمتها هي إشكالية كبرى، فكيف الحال مع نص مقدّس كالقرآن؟» يرى الشيخ خازم أن ترجمة الآيات القرآنية تسهم في أحيان كثيرة في إعطاء صورة مغايرة عن النص الأصلي كآيات القتال وغيرها. ما يُلحق الضرر المعنوي بصورة القرآن والإسلام. لكنه يرى في المقابل أن الترجمة ضرورية كونها تسهّل فهم النص الديني للمسلمين من غير العرب وهي شكل من أشكال التفسير القرآني. «تفسير القرآن وآياته هو أصلاً قضية إشكالية كبيرة».

برج البراجنة وهي تتّجه لتكريسها فعالية سنوية في شهر رمضان ولاحقاً لتكون معرضاً دائماً «أسعى لتحويل المعرض إلى مؤسسة، ولكن مؤسسة تطوعية على مستوى العائلة». مع ذلك، لا يمانع الشيخ علي في التعاون مع جهات أخرى بهدف تطوير التجربة «شرط الحفاظ على جوهر الرؤية التي وضعها للمشروع». يقول: «حفظ هذا الإرث هو مسؤولية مشتركة بين المهتمين والجهات الروحية والحكومية». يضيف: «عندما يتحدث البعض عن تشجيع السياحة الدينية مثلاً، فهذا يتطلب أن يكون لديك أماكن تحفظ وتُورّخ لكل ما له علاقة بالكتب المقدسة للظوائف اللبنانية». وهو - على حدّ قول خازم - «إرث ثقافي بصري مادي عابر للزمان ومتحمّز في المكان، وفيه أرواح أجيال

خاص بالمصحف الشريف هو من الأمانة الكبيرة التي كانت تراوده لسنوات طويلة. «كان الأمر حليماً حققته بتعاون وجهد كبيرين من أفراد عائلتي، وبات اليوم الأول من نوعه في لبنان». لكن الرجل يريد ل «الفعالية» أن تصل إلى أكبر عدد ممكن من الناس. «أريد أن أصل إلى الناس في المناطق أيضاً، وستنظم المعرض القرآني في أكثر من منطقة لبنانية». وإذ بلغت خازم إلى أنّ نقل مسافات طويلة هي عملية دقيقة وحساسة، يرى بان ما يقوم به في هذا الإطار عمل يستحق المغامرة، منوهاً بدور الهندسة تانيا الحاج بالمساعدة في تجهيز أدوات العرض لتكون قابلة للنقل والعرض. كانت «الاتطاقة» الأولى قبل سنتين في معرض الكتابة والوراقة من الرق إلى الرقاقة» في

الأصلي لمن خطها واكثرها شيوعا نسخة الخطاط السوري المعروف عثمان طه». يحاول خازم أن يقدم المصحف للناس كتاباً فضلاً عن كونه «نصاً مقدساً وحاجة إيمانية»، مشيراً في السياق إلى نوعين من التدوين وهما «الرمع العثماني» (نسبة إلى عثمان بن عفان) وهو الأكثر انتشاراً و الرسم «الإملائي القياسي» الذي يعتمد الكتابة الأكثر تسبباً. يقول الرجل: «تطوير كتابة المصحف مسألة مطروحة للنقاش وأميل للرأي الذي يقول بضرورة أن يبقي المصحف بالرسم العثماني، لكن لا مانع من كتابته بالرسم الإملائي لغايات وأهداف تعليمية».

توكيد «صحف» إلى هونستان؟
يؤكد الشيخ علي خازم أن تنظيم معرض